العالم الجامح

يثوب الى الرشاد

بقلم الكاتب الإجتماعى الأديب الأستاذ سيد قطب

الحرب — ولا سيما فى العصور الحديثة — هزة عنيفة ترج العالم كله رجا ، سواء فى ذلك الأمم التى تشترك فيها اشتراكا فعليا أو التى تقف منها على الحياد، لايسلم من هذه الهزة اقتصاد ولا اجتماع ولاسياسة ولا خلق ولا تقاليد ، ولا ينجو منها المدنيون كما كانوا ينجون فى الأجيال القديمة ، بل تشمل المحاربين ، والآمنين فى الدور وماهم اليوم بآمنين .

والتطور سنة الحياة، ولكن الحروب الحديثة، تستبدل به الطفرة فى كل شىء، بما تقطع من أوصال الحياة الفكرية والنفسية، وبما تبدل من نظام العمل وقواعد الاقتصاد، وبما تجدد من فنون السياسة وملابسات الوقائع، وبما تخلق من عالم جديد إما منتكسا إلى النقص وإما مشرئبا إلى الكمال .

وأقرب المثل الينا نحن أبناء هذا الجيل ، ما أعقب الحرب العظمى ، وما تمخض عنه الحرب الحالية ، من انقلابات فى كل أوضاع الحياة وأشكال الاجتماع .

فأما الحرب العظمى ، فقد أخرجت لنا مذاهب الشيوعية والنازية والفاشية ، وهذه ليست نظما للحكم فحسب ، ولكنها تقوم على فلسفات فكرية واجتماعية واقتصادية وخلقية ودينية تحاول تحقيقها ، وتعتمد على ثورات نفسية وعقلية كانت لها أسبابها الكامنة فى الأحوال التى أنشأتها الحرب العظمى أو ساعدت على ظهورها ، أو جاءت أثرا لها بعد انتهائها .

وأهم الظواهر التى أعقبت هذه الحرب — والتى ربما كانت هذه المذاهب امتدادا لها أو ردّ فعل ثار لمقاومتها — الميل إلى التحرر من كل القيود تحررا يجنح إلى الاباحية والنهم إلى التمتع بلا حدود، والهرب من التبعات ومن كل ما يتطلب جهدا، أو يحرم لذة .

ومنشأ هذا حالة نفسية لم يكن منها بد ، فالجنود الخارجون من الخنادق، والعائدون من المواقع — والشعوب كلها كانت مجندة فى الواقع — أولئك الذين رأوا الموت بأعينهم مرات وقاسوا آلام الحرمان من لذائذ الحياة كلها سنوات، كانوا متعطشين إلى إرواء نفوسهم بعد الحرمان الطويل، وهم شاعرون أنهم أدّوا ما يجب عليهم طول حياتهم قسطا واحدا ولم يبق إلا أن يأخذوا مايحق لهم بقية الحياة قسطا واحدا كذلك .

"لقد خرجوا فى شعار هائج للذة ، وفى ظمأ جامح للمتعة ، وفى ضيق شديد بالقيود كلها ، فلم يفرقوا بين ما هو صالح وما هو فاسد منها ، بل نبذوها جميعا نبذ النواة وراحوا يعبون من كئوس اللذائذ والشهوات فى حالة تشبه الجنون .

"وخرجت المرأة بهجة هذه الحياة وزخرفها تلبى ذلك النهم الجامح ، وتبدى مفاتنها وزينتها ، وتمتع الأرض كل ما أودعته حواء إياها من سحر الفردوس ومتعته ، ولم تفكر ولم يفكر الرجل — وهما مخموران — فى عقبى هذا التحلل من القيود ، وبعضها ضرورى فى كل زمان ومكان. وكانت الحاجة إلى المرأة فى ميدان العمل وموت عدد كبير من الشبان قد مهدا لها الطريق لحجز المنزل والضرب فى بفاج الأرض .

"حسب هؤلاء الخارجون من الخنادق والمخابئ أن لم تبق عليهم واجبات ، فكرهوا الجهد وآثروا الراحة ، وتفشى حب السهولة فى كل شىء ، وأصاب ذلك طرق التدريس للأطفال ومناهج الدراسة للناشئة ، فانصرف هم المربين إلى التخفيف كل التخفيف عن عاتق التلاميذ واختيار أسهل الطرق وأخف المناهج . وكان فى هذا بعض الخير لأنه رفع كثيرا من أثقال الطرق القديمة فى التربية ، ولكنه تجاوز الحد فحرم التلاميذ لذة الجهد وتقوية الارادة فى التحصيل المفيد ، وقضى كذلك على روح الاحترام والتوقير للمدرسة والمدرس ، وجعل الطلاب يذهبون إلى المدرسة كما يقصدون إلى نزهة خفيفة ، ويحسبون العلم رواية من روايات السينما ، لا تطالبهم بجهد ولا كد !

"وظن الأفراد كذلك أن الدولة استوفت منهم نصيبها ، والمجتمع أخذ منهم حقوقه وأن لهم بعد هذا كامل الحرية فى أن يعيشوا لأنفسهم ، وأن يتفرغوا لاشخاصهم ، فتفشت فيهم الأثرة ، وانتشرت روح الفردية ، وأشربوا حب الأخذ وكره العطاء ، وكان هذا على أشده فى فرنسا ، لأن ويلات الحرب كانت على أشدها فيها ، ومن هنا كانت الكارثة وكان الانحلال .

"وشاع مذهب "الرياليزم" فى الفنون وفى طرائق الحياة ، فلم يعد الإنسان يخجل من الكشف عن غرائزه وأطماعه وشهواته ، وحسب أن "الواقعية" هى أصدق الأحاسيس مادام الحس يؤيده ، ناسيا أن فى النفس الانسانية أشواقا مجهولة إلى الكمال وإلى المثل العليا بجانب ما فيها من غرائز وقيود ، وأن هذه الأشواق المجهولة هى التى ظلت تحدو الإنسانية فى طريق التقدم والرقى من عهد الكهوف والأدغال إلى عهد العلم والقصور ، ولولاها لبقيت تتخبط فى ظلمات القرون ، أو ظلمات الغريزة طول الأجيال .

"والحرية التى هى نعمة الحياة الانسانية ، انقلبت عليها نقمة ، لأنها أصبحت أشبه شىء بالفوضى وأصبح همها الانفلات من القيود التى تعبت الانسانية فى صوغها مختارة راضية لأنها قيود نافعة تفرق بين الانسان والحيوان ، وتنشئ المجتمع وتحرسه من الانحلال .

ومتى صارت الحرية إلى هـذا الوضع فقـد خسرت الانسانية جهـد أجيال وقرون واحتاجت إلى الشكيمة الرادعة، والصدمة التى تعيد العقول إلى الرءوس . وقد كان! وكانت هذه الحرب الجديدة ، وما قامت عليه من مذاهب وأركان !

* * *

تلك لمحة خاطفة عما أعقبت الحرب العظمى من نتائج ، عنيت بإبراز أسبابها النفسية لأن الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، إن هى إلا آثار للانفلابات النفسية ، ولو أن الشيوعية لا ترتضى هذا التفسير ؛ وترد كل شىء إلى الاقتصاد وإلى نظام العمل و إلى المـال .

أما الحرب الحالية — وهى أشد وطأة من سابقتها وأعظم أثرا — فقد كانت خليقة أن تترك من الآثار ما هو أسوأ وأنكى ، لولا أنها فتحت الأعين على أخطاء الحرب المـاضية فى كل ناحية ، ولولا أن بعض المبادئ التى قامت عليها نشأت من ردّ الفعل لهذه الأخطاء .

ومن هنا كان فى طيات هذا الشر الذى يحطم العالم ويهدده ، بذرة خير نرجو أن تثمر ثمرة طيبة ، وهذا تفاؤل — ولا شك — ولكنه تفاؤل معقول ، وهو التفاؤل اللائق بالحياة ، التى ما برحت تخلق السم وتدس فيه الترياق ، وتعثر فى خطواتها ثم تنهض بعد العثار .

لقد تنبه العـالم حين اكتسحت الجيوش الألمـانية فرنسا ، إلى أن الحرمان والجهد وتحمل المصاعب أمور ضرورية فى بعض الأحيـان ، وأن الألمـان الذين حرموا من الزبد ليصنعوا المدفع هم الذين اكتسحوا وسط أوروبا وغربيها بمـا تعودوا من ضروب الخشونة والصبر على الحرمان .

وقد تنبه العالم إلى أن الإغراق فى المتاع والأثرة والفردية ونبذ القيود جميعا خطر فى بعض الأحيـان ، وأن الفرنسيين إنمـا خسروا المعركة لأنهم ربحوا من قبل كل مطالب الفرد ولذائذه وشهواته عشرين عـاما كاملة ، فلم يعودوا يصمدون للشقة و يصبرون للجهاد .

وهذا درس لن تنساه فرنسا ولن ينساه العالم، وها هو ذا "بيتان" المـارشال الهرم ينتفع به و يتنبه له ، ويجد من الشعب الفرنسى إصغاء لتحذيراته ، لم يكن يجده منه لو دعاه قبل الهزيمة إلى مايطلبه منه اليوم من تضحيات . وها هى ذى القوانين الفرنسية ومناهج الدراسة تأخذ لها طريقا غير الطريق التى أدت من قبل إلى الهزيمة .

وقد قرأت فى برقيات هافاس يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩٤١ البرقية التالية :

" فرغ ولاة الأمور من إعداد برامج المدارس الابتدائية الخاصة بدراسة الأخلاق والتربية الوطنية ، وهى تدل على أن الحكومة مهتمة ببعث قيم الأخلاق وفى مقدمتها الوازع الأدبى وواجب الإنسان نحو الله وفكرة العمل للمصلحة العامة .

ومن هذه البرامج التي عمل بها ابتداء من أول يناير سنة ١٩٤١ تجمع مبادئ الأخلاق حول الشعار الجديد الذى اتخذته الحكومة وهو " العمل والأسرة والوطن".

وسيكون محور دراسة الأخلاق في المدارس دائراً على المحادثات العائلية ومطالعة أهم واجبات الانسان نحو نفسه ونحو غيره ، والإشادة بالوجدان الذى يجب أن يهيمن على كل فرد فى مهنته و بواجبات الانسان نحو الله .

أما التربية الوطنية فسيعنى الأساتذة بالتوسع فى المبادئ التاريخية والأخلاقية التى يرتكز عليها بنيان الأمة ، وسيفهمون الطلبة شرف الولاء لرئيس الدولة والوطن".

وها هو ذا الجنرال " إيبوى " الحاكم العام لأفريقيا الشرقية الفرنسية من قبل الجنرال "ديجول" يذيع على موظفى المستعمرة بيانا أقتطف منه قوله :

"إن التضحية يجب أن تكون مباشرة وشخصية وملموسة . فنحن نهيب بالجميع أن يساهموا طائعين مختارين فى الأعمال الحربية وشراء المهمات للجنرال ديجول وحلفائه لأن واجبهم يقضى بأن يساهموا فى الكفاح المشترك ، وسيكون هذا الاشتراك بمثابة التزام شخصى لا يصيبه أى وقف ولا يستحق عليه صاحبه أى شكر ، ومن الواجب أن يدخل روح الجامعة الوطنية فى الأخلاق وأن يحل محل المصالح الشخصية . فألمانيا أعدت العدة وكسبت القسم الأول من الحرب بالإقول عن الشخصيات ، وستستقر فرنسا فى السلم النهائى بهذه الكيفية ، وستكون كلمتا المسئولية والسخاء مكملتين لشعار الشرف والوطن".

ثم قال :

" لقد دلنا التفكير الطويل على أن القوى الروحية العميقة هى التى حملتنا على أن ننكر الهدنة ، وأن المبادئ الحتمية البحتة هى التى منعتنا من الاستسلام ، وأوحت إلينا بأن نتولى مصير الوطن كل ما بنصيبه ، وقد وجدنا فى العقائد الدينية والمبادئ الفلسفية التى تبدو مختلفة سببا لنكون على فكرة واحدة ، ومشجعا لنا على أن نتخذ لأنفسنا خطة فذة ، وفى هذا درس عظيم يجب أن نتعظ به ، وهو برهان على أنه كانت هناك قوة روحية وطنية سمحت بإتمام الحركة والمحافظة على قوتها وزيادتها نموا وتأثيرا فى عملها ، وهذه هى النقطة التى بدأ منها العمل وهى غايتنا المشتركة ، وليس بيننا من تشغله آراؤه الفلسفية أو معتقداته الدينية مادام كل منا قد اكتشف فى آرائه مفتاح المسألة التى عرضت على ضميره كفرنسى، والشىء الذى يهمنا قبل غيره هو أن نجعل أنفسنا قادرين وأن نساهم فى إعادة بناء فرنسا فى الغد".

فهذان رجلان يختلفان فى طريقتهما ، فيخضع الأول للهدنة ، ويثور الثانى عليها ، ولكنهما لا يختلفان فى أسباب هزيمة فرنسا ولا فى طريقة إنهاضها القائمة على أساس من

مقاومة الأثرة وفساد نظام الحكم والاختلافات الشخصية ، وعدم المساواة فى تحمل الأعباء وعلى خلق روح الإيثار والاتحاد والتضحية والمساواه فى التبعات .

كانت هزيمة فرنسا هى الدرس الأول الذى رد أفكار العالم الحائرة إلى أسس الفضائل القومية ... وصمدت بريطانيا للعاصفة وتبلور الخلق الانجليزى فى ساعة الشدة فنفى عن نفسه كل زيف ، وأبعد عن طبيعته كل دخل ، فإذا الشعب البريطانى كتلة واحدة متماسكة ، وإذا هو يتنزل عن حريته جميعا ، وعن ثرواته جميعا ، وعن متاعه جميعا ، ليصنع من كل أولئك درعا للوطن ويصوغ منه عدة وسلاحا يقاوم بهما خطر الزوال ؛ ويصمد بهما لصروف الأهوال تلك التى يتحديهم بها تشرشل حين يقول فى مجلس العموم يوم تولى رياسة الوزارة :

" ليس عنـدى ما أقدمه اليوم إلا الدم والعمل والدموع والعرق . تسألوننى ما برنامج الوزارة ؟ فأقول الحرب . وما هدفها ؟ فأقول : النصر — النصر مهما يكن الثمن وعلى الرغم من جميع الأهوال ومهما يكن طول الطريق ووعورته فلا بقاء لنا بغير النصر . ليدرك كل منا هذه الحقيقة : لابقاء للامبراطورية البريطانية ، ولا للفازى المتمثلة فى الأمبراطورية البريطانية ولابقاء لذلك الباعث المستمر على مر العصور ، الباعث الذى حمـل البشرية رويدا رويدا نحو هدفها . لابقاء لهذا كله بغير النصر " .

ولكل نظام من نظم الحكم عيوب ، ولكل مجتمع من المجتمعات نقائص ؛ وها هو ذا تشرشل الذى أسلمه الانجليز قيادهم يرى الحرب تمحو تلك العيوب وتبرئ من هذه النقائص فى الشعب الانجليزى فيقول فى إحدى خطبه : "سنعمل على بقاء هذا النظام البديع بعد الحرب أيضا" .

ثم يقف وزير التموين الانجليزى ليخطب ، فيذكر الانجليز بأنهم تفننوا فى إعداد المـائدة وتنويع الطعام كما لم يتفنن شعب من شعوب العالم ، وأن أسلافهم الذين بنوا الامبراطورية الضخمة كانوا يعيشون عيشة البساطة والقناعة ، وأنه آن للأبناء أن يقتدوا بالآباء فى هذا الجانب من الحياة ، ليضمنوا المحافظة على مجد الامبراطورية المترامية الاطراف .

وكان هذا هو الدرس الثانى من دروس الحرب القاسية..واشتط الجرمان فى تطبيق النظم العسكرية حتى على الحياة المدنية ، وضحوا بالحريات الفردية والجماعية فى سبيل ما يسمونه أمن الدولة وسلامتها ، وأخضعوا ماديات البلاد ومعنوياتها لشؤون الجيش والحرب ، وسخروا بسماحة المسيحية وبروح الأديان عامة ، فكان لهذا كله رد فعل طبيب إذ شعر الناس بنفاسة الحرية المهددة كما شعروا بحاجتهم للعودة إلى الدين ، وتنبهت فى نفوسهم عواطف الرحمة ، وتيقظت فى أعماقهم الضمائر . و بات الجميع يرتقبون نهاية هذه الحرب الغشوم ليعملوا على قيام مجتمع فاضل يستمتع بالحرية المعقولة ، ويستروح العقيدة السمحة ، ويحد من سعار الغرائز وهياج البربرية .

وكان هذا هو الدرس الثالث الذى وعته الإنسانية المعذبة لتنتفع به .

ذلك استعراض سريع للدروس الإنسانية التى ألقتها هذه الحرب على بنى الإنسان، والتى ستعود بالعالم الجامح إلى الرشاد .... فما شأننا نحن فى مصر بهذه الدروس ؟

نحن فى حاجة إلى أن نصغى إليها ، وأن نفتح عيوننا عليها ، فلقد أصابنا شواظ مما أصاب العالم عقب الحرب العظمى ، فصلا على ما كنا نكتوى به من قبل هذا الشواظ .

نحن — وإن لم ندخل الخنادق أو نخرج منها — قد تفشت بيننا إباحية مريضة وأثرة بغيضة ، وفردية مقيتة ، وتحللنا من قيود كثيرة كان بعضها يجب التحلل منه ، ولكن بعضها كان يستحق البقاء حتى تحلنا منه التطورات الطويلة التى تفعل فعلها فى النفوس فى رفق ولين .

فيجب أن نعود الى الرشاد فى هذه الشؤون ، وأن ننتفع بما انتفعت به فرنسا بعد الكارثة. فرنسا التى قلدناها فى لغتها وعاداتها وتقاليدها وسهراتها وملاذها وشهواتها وأزيائها و"موداتها" فلنقلدها حين تثوب الى الرشاد فى حشمتها ووقارها وتدينها و إيثارها وفضائلها الاجتماعية جميعا.

ونحن — وإن لم نضح فى الحرب العظمى شيئا — قد مالت نفوسنا الى اللذائذ والمتاع، والى عدم المبالاة بالواجب ، فيجب أن تردنا عظات الحرب الحالية الى تعود الحرمان من بعض اللذات ولو لتربية النفس وتقوية الارادة ، فلا نكرر المأساة التى برزت يوم همت الحكومة بتوزيع البترول بالبطاقات، فاذا القادرون منا يحرصون على تخزينه، واذا بنا نزور فى البيانات التى طلبت الينا ، واذا عدد السكان فى هذه البيانات يبلغ ضعف العدد الحقيقى فى البلاد !

وكلما عرضت مناسبة للتنازل عن بعض ما اعتدنا من متاع تكررت المأساة وثارت الثائرة مهما كان المطلوب ضئيلا. ولست أنسى تلك الضجة التى أثيرت حول ضريبة الدفاع الوطنى على الدخل وهى لا تعدو واحدا فى المائة من الضرائب ، ولست أنسى أن ضريبة التركات لا تزال تتعثر فى خطاها، لأن السادة الأغنياء لا يحبون أن يتبرعوا لوطنهم ببعض ما يرثونه دون كد ولا جهد .

فلنوازن بين هذا ، وبين ما يدل عليه الخبران التاليان :

نشرت الأهرام من بين تصريحات المستر متزيس رئيس وزراء استراليا عند زيارته لمصر بتاريخ ٦ فبراير ما يأتى :

"وقال المستر متزيس فى حديثه عن برنامج التسليح : إنه يتوقف على الرجال والمال . أما فيما يتعلق بالرجال فقد أنشئ عدد من المدارس الصناعية لتدريب الرجال على مختلف الفنون والصناعات الحربية ، وأما فيما يختص بالمال فقد رفعت ضريبة الدخل ثلاثة أضعافها ووافق البرلمان الاسترالى على ذلك بدون معارضة مما ساعد على إعداد ميزانية هذا العام والنهوض بميزانية الدفاع من ١٢ مليون جنيه فى السنة الى ١٨٦ مليونا" .

ونشرت الأهرام برقية لمراسلها الخاص بأثينا تحت عنوان : "التبرعات للحرب اليونانية، تبرع مؤثر للمرضى فى إحدى المدن" تقول :

" تنشر الصحف كل يوم قائمة بألوف التبرعات للدفاع الوطنى ، ولكن أحد هذه التبرعات أحدث اليوم تأثيرا كبيرا فى الرأى العام، لأنه وارد من جزيرة سيسينا لونجا التى عزل فيها المرضى المصابون بالجذام . فقد قرر هؤلاء المرضى التعساء أن يقتطعوا من مرتباتهم ٤٠ دراخمة شهريا ويتبرعوا بها للدفاع الوطنى إلى أن تنتهى الحرب ، وأرسلوا خطابا بذلك أرفقوا به حوالة بمبلغ ٨٧٤ دراخمة جمعوه من مختلف المستشفيات .

وقد أعربوا فى هذا الخطاب عن أسفهم لعدم استطاعتهم تقديم حياتهم أو أكثر مما قدموا لأنه لم يبق لهم أى أمل فى الحياة .

ومما جاء فى خطاب هؤلاء المصابين أن المال الذى يبعثون به مبلل بدموعهم وأمانيهم فى النصر" .

فلنقرأ جيدا هذين الخبرين ، ثم لننظر لأنفسنا على ضوئهما ، فنراها على حقيقتها ثم لنحاول إصلاحها وتهذيبها حتى تصلح للعالم الجديد الذى تشير مثل هذه الأخبار إلى التمخض عنه فى هذه الأيام .

والتفاوت فى مصر بين الطبقات أولا ، وبين الريف والمدن ثانيا ، وبين الأحياء الفقيرة والأحياء العنية ثالثا ، تفاوت فاحش غير معقول ، فيجب أن ننتفع بدروس هذه الحرب ، وأن نعيد التوازن بين طبقات الأمة . وها هو ذا وزير الشؤون الاجتماعية يتقدم بمشروع لإنهاض الريف وجعله متناسبا مع المدن . بل لجعله مجرد مكان لائق لحياة بنى الانسان . فيجب ألا يقف الأغنياء حجر عثرة فى طريقه ، لأن الموجة التى تغمر العالم اليوم والتى ستغمره بعد الحرب هى موجة المساواة فى الحقوق والواجبات وإصلاح أخطاء الماضى التى أنشأت الشيوعية والنازية والفاشية ، فلا تكن حينذاك بدعا بين أمم الأرض جميعا .

ونحن جاوزنا حب السهولة والراحة ، إلى "الميوعة" والرخاوة ، فينبغى أن نأخذ نفوسنا بشىء من الشدة وتربيتنا بشىء من الصرامة ، وإرادتنا بشىء من القوة ، فالحياة جهاد وستظل جهادا على مدى الزمن ، ومن لم يتهيأ للجهاد ويمرن على الخشونة ، فقد عرض كيانه للانحلال وشخصيته للاضمحلال ، بل للزوال .

ولقد تعلمت الأمم من هذه الحرب أن للنضال الحزبى حدودا يجب ألا يتعداها ، وإلا أصبح مصدر خطر على سلامتها ، وأن هناك مصالح عليا للوطن تلتقى عندها الأحزاب وتتخلى بإزائها الشخصيات ، ويصالح لديها الخصم خصمه ، ليكون الجميع جنودا فى كتيبة واحدة .

فيجب أن نتعلم هذا الذي تعلمته الأمم ، وأن نتجاوز أشخاصنا وخلافاتنا إلى حيث نلتقي في آفاق أسمى من هذه الآفاق .

ولقد تشعث نظامنا العائلي ، كما تشعث نظامنا القومي ، وتأثرت الأسرة بهذه الحرب الماضية ، وانعدم الانسجام بين الآباء والأبناء ، ولم يعد في البيوت الاحترام والوقار الضروريان بجانب ما يجب أن يسود من عطف وتجاوب وتفاهم ، وفي الأسرة المدرسية شاع الشذوذ والفسوق كذلك بين المعلمين والطلاب ، استجابة لدعوات الحرية الجريئة والفوضى الحمقاء ، التي اصطدمت بالتقاليد العتيقة والشدة البالغة ، ولم نتنبه بعد فيها إلى أواسط الأمور ، وإلى الاحترام الذي يقوم على الحب قبل أن يقوم على الإرهاب ، وإلى العطف الذي يقوم على الحزم لا على التدليل .

فيجب أن نعالج هذه الحال في حزم رفيق ، وعزم بصير ، وأن نرد إلى الأسرة نظامها وتماسكها ، وإلى المدرسة حرمها وحرمتها ، وإلى المجتمع أصوله وقواعده ، في اعتدال يمنع الطفرة ، ويعالج النكسة . وقد سبقت فرنسا إلى قوانين جديدة للأسرة والمجتمع والمدرسة فلنتق بالنا إليها منذ الآن قبل أن تلوى إليها أعناقنا في شدة وعسر .

وإذا ذكرت الأسرة ذكرت المرأة ، والبيت المصري قد حرم عناية المرأة ورعايتها من يوم أن طفرت هذه المرأة بلا تدرج ولا استعداد إلى كل مكان ، غير هذا البيت المحروم ، ومع أن الحرب العظمى لم تكن قد اضطرتها للخروج كما اضطرت زميلتها الغربية لأنها ما كانت تراها في المجتمع والسوق والطريق والنادي والماخور ، حتى انطلقت تقلدها في هذا جميعه ، بلا استعداد للتقليد ، فكانت الخسائر جسيمة ، كأي جيش يلقى به في المعمعة دون سلاح !

ومما يؤسف له أن القليلات من اللواتي خرجن إلى المجتمع الفاضل يفضن عليه من بشاشة المرأة ونور الحياة ، بينما الكثيرات قد انطلقن كالمسحورات إلى كل مكان غير الأمكنة التي تحتاج إليهن وتحفظ عليهن فضائل الأنوثة وخصائص الجنس ، وتجعلهن عنصراً صالحاً للحياة ، نعسى أن نوفق إلى نداء نهتف به لهؤلاء الشاردات فيستمعن إليه ، ويعدن إلى قواعدهن سليمات !

إن هذه الحرب تتمخض عن عالم جديد ، عالم مختلف جداً عما ولدته الحرب العظمى فعلينا أن نهيء أنفسنا للانسجام مع العالم المرتقب ، وأن نجنبها عناء الشذوذ عن هذا العالم وعواقب الاصطدام بنظم لم تتهيأ لها من قبل .

وإن العالم الخاج ليثوب اليوم إلى الرشاد ، وقد قلدناه بالأمس في جموحه ، فلنقلده اليوم في رشاده ، ما دام قد كتب علينا أن نكون مقلدين في جميع الأحوال .

سيد قطب